الطفل المهجور.
دراسة عيادية ل 10 حالات على ضوء إختبار الرورشاخ.

زيوي عبلة

ملخص:
سوف نحاول من خلال هذه المبادرة دراسة إشكالية الطفل الذي تم التخلي عنه من طرف والديه مباشرة بعد الولادة.
للإجابة عن تساؤلاتنا، قمنا بتطبيق إختبار الرورشاخ على 10 أطفال تم التخلي عنهم من طرف الوالدين مباشرة بعد الولادة، وأمام هذا الإنفصال المبكر، إفترضنا ظهور لدى هؤلاء الأطفال هشاشة نرجسية مرتبطة بإكتئاب فقدان الموضوع.
ولقد بينت النتائج إختلاف الإشكالية حسب الحالة رغم ظهور آثار إكتئاب فقدان الموضوع لدى معظم الأطفال الذين تم التخلّي عنهم من خلال إنخفاض المشاركة العاطفية والحاجة إلى الموضوع الحاوي بالإضافة إلى وجود تصور ذات يتميز بالتبعية والحاجة إلى الأمن.

كلمات مفتاحية:
الطفل المهجور، إشكالية فقدان الموضوع، إختبار الرورشاخ.

Alors sans avoir rien,
Que la force d'aimer,
Nous aurons dans nos mains,
Amis, le monde entier.

Jacques Brel

مقدمة

يتميّز الرضيع في بداية حياته بالتبعية، حيث يكون دور المحيط جد هاما يسمح له بالتعايش من خلال إدماج مختلف مشاعره، إحساساته، إستثاراته.

زيوي عبلة، أستاذة مساعدة أ، جامعة الجزائر 2

ومن خلال العناية الجسدية والنفسية التي يوفرها له المحيط، يتمكن الرضيع من الإحساس بجسده، حيث يقوم ببناء تفكيره حول العالم الخارجي الذي يرتبط بإدراكه للواقع ليطور تدريجيا قدرته على الدخول في علاقة مع الآخرين.

أما في حالة غياب المواضيع المرجعية نتيجة زوال صور التعلّق، يظهر عجز الطفل على تطوير مراجعها لداخلية الناتجة عن التبادلات الوجدانية الضرورية.(Danion- Grilliat. A, Bursztejn. C, 2011)

الإشكالية

لقد أشارBowlby من خلال تقريره للجمعية العالمية للصحة أن الطفل يحتاج إلى بناء علاقات آمنة مع الراشد لكي يبني شخصيته، حيث أثار ذلك جدلا كبيرا من طرف الفلاسفة.

وتجدر الإشارة إلى أن الحركات النقيذة بدأت منذ 1950 من طرف الإداريين عندما حاولت كل من ميريام دافيد وجونفياف آبل الإعتناء بالأطفال الصغار الذين تعرضوا للتخلي، حيث تعرضتا إلى الطرد من مأوى الأطفال. كما وجهت الإنتقاذات من طرف الحركات النسوية، إذ أشارت مارغريت ميد بأن الطفل لا يحتاج إلى الحنان لكي ينمو، وأن حالات النقص العاطفي الذي وصفه بولبي لدى الطفل الذي تم التخلي عنه يحمل هدف منع النساء من العمل.

غير أن كل من Ferid و Brave قامتا فيما بعد بالقراءة الدقيقة لأعمال Bowlby ، حيث أشارتا أن النقذ الذي وجه إليه لم يكن مبنيا على دراسة مفاهيمه، وأن التتبّع المعمّق لتطور الأطفال ذوي النقص العاطفي وملاحظتهم في إطار نظامهم العائلي والإجتماعي-الثقافي لا يجعل حسب تفكير بولبي، الأم المسؤولة الوحيدة في حالة إضطراب النمو.

حيث أصبح المحلّلون النفسانيون في تلك الفترة يشيرون إلى أن الواقع ليس له أي تأثير على النفس، مؤكدين على أهمية الهوام، فقلق الطفل ينبع من نزواته الجنسية التي يجب أن يكبتها، لذلك، فالإنفصال الواقعي ليس له أي تأثير.(Cyrulnic. B, Duval. Ph, 2006)

وفي هذا الإطار، تطرّق Spitz إلى مفهومي الإكتئاب الإتكالي والإستشفاء إستنادا على مفهوم الإحباط على مستوى الرغبة، حيث حاول تطبيق مخطط الحداد الذي إقترحه Freud وAbraham على رضع لم يتوصلوا إلى المرحلة الموضوعية، مؤكدا على أنه في حالة غياب الموضوع المرجعي العلائقي، يحدث إنعكاس النزوات العدوانية على جسم الطفل نظرا إلى غياب موضوع داخلي ناشئ بقدر الكفاية.(Danion- Grilliat. A, Bursztejn. C, 2011)

ولقد أكّدت كل من Freud و Burlingham في دراساتهما على الفرق بين نمو الطفل الذي ينشأ في عائلته والطفل الذي ينمو في دار الحضانة، فالألفة التي تنشأ بين جسد الأم وجسد طفلها تدعّم نموه من خلال التبادلات الوجدانية الضرورية.

كما أنه من المفترض أن التخلي عن الطفل لا يمكن إصلاحه، فبوجود الأم يتمكّن الطفل من تحقيق التنشئة الوجدانية الذي يتسبب غيابها في تعطيل نجاح العلاقات الإجتماعية.

ورغم ذلك، فيبدو من الإعتباطي التفكير في إستحالة إستبدال الأفضلية التي تتميز بها العائلة في تنشئة الطفل نظرا لوجود فروقات بين العائلات وأيضا بين الأمهات، فالطفل يمكنه مثلا أن يجد المحيط المناسب لنموه في محيط مغاير يتميز بالإستقرار، كما أنه من المهم الإشارة إلى أن الشعور بالإنتماء إلى الأم أو العائلة أساسي في نمو الطفل.(Litwinski. L, 1952)

لقد قامت Ainsworth بالتفرقة بين النقائص الكمية والنقائص النوعية وكذا التقطعات التي تحدث على مستوى التفاعلات العلائقية بين الطفل والموضوع، حيث أشارت إلى أن النقائص الكمية ترتبط بفقدان الطفل لمراجعه العلائقية في الواقع الخارجي نتيجة وضعيات الإنفصال المفاجئة والدائمة.(Danion- Grilliat. A, Bursztejn. C, 2011)

أما مفهوم النقائص النوعية، فلقد ظهر نتيجة أعمال كل من Kreisler ، Fain وSoulé، بالإضافة إلى تيار التفاعلات للطب العقلي للرضع، وهو لا يوافق إنفصال الطفل في الواقع الخارجي مع مراجعه العلائقية التي إعتاد عليها و إنما إلى عدم قدرة الطفل على بلوغ المراجع على المستوى النفسي فرغم وجودها، فهي غير متوفرة نفسيا. (Danion- Grilliat. A, Bursztejn. C, 2011)

من كل ما سبق، يؤدّيا لتخلي عن الطفل من طرف الوالدين مباشرة بعد الولادة إلى الإنفصال المبكر، حيث يتسبب إلى فقدان الطفل للمراجع الضرورية لنموه النفسي-الوجداني.

ويعتبر إختبار الرورشاخ من أهم الإختبارات المستعملة في مجال التطبيق العيادي، حيث يمثّل وسيلة هامّة للقيام بإختبار الشخصية بدّقة وعمق، كما يسمح بإنشاء حيز لقاء محبذ في العيادة الطفولية، كونه أداة وسيطة بين الطفل والأخصائي النفساني إذ تساعد هذا الأخير على الفهم الشامل لشخصيته.(Baumann. N, Quartier. V, Antonietti. J- Ph, 2012)

إنطلاقا من هذا، سنحاول دراسة إشكالية الطفل الذي تم التخلي عنه من طرف والديه وذلك بالإجابة عن التساؤل التالي: **ما هي الإشكالية التي تظهر في بروتوكولات الرورشاخ لدى الأطفال الذين تم التخلي عنهم من طرف الوالدين؟**

الفرضيات

الفرضية العامة

يبدو من خلال نتائج إختبار الرورشاخ وجود آثار لإكتئاب فقدان الموضوع والهشاشة النرجسية لدى معظم الأطفال الذين تمّ التخلي عنهم من طرف الوالدين.

الفرضيات الجزئية

1. قد تظهر نتائج الرورشاخ من **الناحية الكمّية** كف على مستوى التداعيات، التأكيد على الأجوبة الشاملة والأجوبة الشكلية على حساب الأجوبة الحركية واللونية مع إنخفاض نسبة الأجوبة الإنسانية كدليل على ضعف المشاركة العاطفية والهوامية.

2. أما من **الناحية الكيفية**، فقد تتميز الدّفاعات العقلية بعدم الفعالية حيث تترافق بقلق فقدان الموضوع، الهشاشة النرجسية وغياب المراجع الحاوية.

مجموعة البحث

يظهر من خلال خصائص مجموعة البحث (أنظر الجدول رقم 1) أن توزّع الأطفال حسب الجنس متساوي، حيث نجد نفس نسبة الذكور بالمقارنة مع الإناث. كما يبيّن جدول خصائص الأطفال الذين تمّ التخلي عنهم أن معظم هؤلاء الأطفال يتميزون بوجود عرضية نفس مرضية تندرج سواءا ضمن الإضطرابات السيكوسوماتية مثل بالنسبة للحالة 2 التي أصيبت منذ الأيام الأولى بعد تخلي الأم عنها بمرض الإكزيما أو الحالة 7 التي تعاني من الخناق الصدري المتكرّر منذ إصابتها بإلتهاب السحايا في الأشهر الأولى من ولادتها، أو ضمن إضطرابات الكلام (تتمثل معظمها في تأخر الكلام) مثل بالنسبة للحالات 1، 4 و9.

أما بالنسبة للحالات المتبقية، فتتميز بمشاكل في التعلّم وصعوبات في الفهم، التركيز بالإضافة إلى النسيان، حيث يتكلّم الوالدين المتكفلين عن التفضيل المفرط فيه لهؤلاء الأطفال للّعب، تلقائية بكاءهم وعدم تقبلهم للملاحظات الإنتقاذية الموجّهة إليهم مما قد يشير إلى ميولتاهم الإكتئابية، كما نجد التوّجه للاستشارة النفسية بسبب مشاكل التعلم مرتفعا بالنسبة للذكور.

وعموما، يظهر من خلال المقابلات العيادية أن أغلبية الحالات أتت مرفقة بالأم المتكفلة (بالنسبة ل 7 حالات)، أما البقية، فنجد العمة أو الجدة بالنسبة لحالتين والوالدين معا بالنسبة لحالة واحدة فقط.

تميزت المقابلات العيادية بصعوبة كبيرة في التعبير اللفظي للوالدين عن المعاش المرتبط بالتاريخ الشخصي للطفل. وفي هذا الإطار، تبيّن العيادة أنه من الصعب التوقف على مختلف الطرق التي ينتظم بفضلها سير الحياة النفسية بين الأفراد خاصة حول طرق النقل وطبيعة المواضيع النفسية المنقولة والتي تختلف حسب المعطيات ضمن النفسية بين -الشخصية اللاشعورية.

لقد أكّد فرويد في 'علم النفس الجماعات وتحليل الأنا' (1921) أن العلامات التي ندركها حول حالة عاطفية تكون ذات طبيعة تخلق بطريقة أوتوماتيكية نفس العاطفة لدى الشخص الذي يدركها، إذ أن للعاطفة طابع العدوى يمكنها الإنتقال من فرد لآخر، فهي تحمل بعد بين-شخصي- ولا تسلك بذلك مسار فردي فقط بل يمكن أن يكون مصير العاطفة جماعيا.(Veuillet- Combier. C, 2011)

وفي هـذا الإطـار، فلقـد وردت عبـارات 'علاقـة غـير شرعيـة' بـين الوالـدين الحقيقيـين للطفـل لـدى كـل الحـالات، تميـزت الأم بأوصـاف 'غـير المباليـة' أمـا الأب فغالبـا مـا وصـف ب 'المنحـرف'، مـما جعـل التـاريخ العـائلي حامـل لعاطفـة العـار، ملازمـا بـذلك طريقـة التكفـل وتربيـة الطفـل، حيـث تعـبّر الأم عـن ذلـك مـن خـلال تأكيـدها عـلى الضـوابط الصـارمة والقواعـد الأخلاقيـة بالنسـبة لكـل الحـالات، بالإضـافة إلى العقوبـات المطبقـة عـلى الطفـل بالنسـبة ل 5 حـالات خوفـا مـن إقـتراف الطفـل للخطـأ. وبـذلك، يظهـر الشـعور بالعـار كشـبح يحملـه الطفـل كعنصر سـلبي توارثـه مـن النقـل الجـيلي حيـث يـرتبط هـذا الشـعور بصـور والدية سيئة تحمل ميزات الإهانة والحقارة المتعلقة بالممنوع مثل بالنسبة للحالة 5.

تجدر الإشارة إلى أن معظم الحالات (7 حالات) قضوا الأشهر الأولى من حياتهم في دار الحضانة، ثم تم إختيارهم من طرف الوالدين المتكفلين الذين إهتموا برعايتهم لحد الآن. أما بالنسبة ل 3 حالات المتبقية، فلقد تمّت تربيتهم في المنزل العائلي من طرف الجد والجدة أو العمة في غياب الوالدين الحقيقيين وبكتمان السّر حول ذلك.

إن 4 حالات من الأطفال يعرفون حقيقة قصة حياتهم منذ الصغر رغم جهل 3 حالات لهوية الأب الحقيقي، حالتين من بينهم (الحالة 2 و5) قد تعرفوا بصورة مباشرة على الأم التي يعبرون إتجاهها عن مشاعر متناقضة (حب متعلق بتوقع وأمل إيجاد الرعاية من جهة، وكراهية مرتبطة بحيرة ولوم بسبب التخلي من جهة أخرى).

أما فيما يخص الأطفال الذين ترعرعوا وهم يجهلون قصة حياتهم، والتي تم الإعتراف لهم بها مؤخرا أي في سن 6-7 سنوات، فلقد أشارت الأمهات إلى أن ردة فعل هؤلاء الأطفال تميزت بالبكاء والإنكار، مشاعر الغرابة في البداية ثم الرغبة في معرفة تفاصيل أدق عن هوية الوالدين وعن سبب تخلي الوالدين عنهم وسبب إختيار الوالدين المتكفلين لهم. كما نجد حالة واحدة (الحالة 10) يجهل حقيقة قصة حياته.

تظهر المقابلة العيادية لدى كل الأطفال مشاعر الخوف التي تصل في بعض الأحيان إلى الهلع وكذا مشاعر الإضطهاد مثل بالنسبة للحالة 9 التي تعاني من التأتأة، حيث أخبرتنا عن خوفها الشديد من أن يقتل كل منها ووالديها.

ويتميز تاريخ العائلة المتكفلة هو الآخر بالمعاش الصدمي المرتبط بفقدان الموضوع والمعاش الإكتئابي المرتبط بعدم القدرة على الإنجاب والذي يولّد مشاعر الفراغ والحاجة ليصبح الطفل موضوع سند للوالدين، حيث تحيي إشكالية التخلي في إطار أثر مرآتي، جروح وهشاشة نرجسية مرتبطة بالتاريخ الشخصي للوالدين المتكفلين.

أظهرت المقابلة العيادية من جهة الحزن و الميولات الإكتئابية للوالدين من خلال صعوبات التعبير و البكاء أثناء التحدث عن الموضوع، كما بينت ظهور الخوف المرتبط بعودة الوالدين الحقيقيين

لأخذ و إسترجاع الطفل، حيث يلعب الطفل دور ترميم الجروح النرجسية للوالدين كمحاولة للقيام بعمل الحداد المرتبط بعدم القدرة على الإنجاب، غير أن هذا الحل يترافق مع عاطفة العار التي تحيي الأزمات المرتبطة بالصدمات العائلية، مثل بالنسبة للحالة 3 التي يروي فيها الوالدين موت إبنهم و هو في مقتبل عمره في حادث مرور، حيث مثّل الحدث صدمة قوية بالنسبة للعائلة إلى درجة عدم تقبل الفراغ الذي إنجر عن غيابه، و أمام صعوبة تجاوز الإكتئاب، فكرت العائلة في التكفل بالطفل و هذا كتعويض عن الإبن المفقود.

الرمز	السن	الجنس	العرضية النفس مرضية
1	6	ذكر	مشاكل في التعلم، النسيان، تأخر في الكلام، طفل متبنى
2	9	أنثى	مشاكل في التعلم، مرض الإكزيما، طفلة متبنية
3	12	ذكر	طفل متبنى
4	8	ذكر	تأخر في الكلام، طفل متبنى
5	12	أنثى	طفلة متبنية
6	9	أنثى	مشاكل في التعلم، تخلي الأم بعد طلاق الوالدين
7	10	أنثى	طفلة متبنية
8	10	ذكر	طفل متبنى، إفراط حركي
9	6	أنثى	طفلة متبنية، تأتأة
10	7	ذكر	مشاكل في التعلم، طفل متبنى

جدول رقم 1: جدول يوضّح خصائص الأطفال الذين تمّ التخلي عنهم من طرف أحد أو كلا الوالدين.

عرض وتحليل النتائج

سنقوم فيما يلي بعرض نتائج دراستنا إنطلاقا من التحليل الكمي لعوامل الرورشاخ والذي سيتضمنه التحليل الكيفي وذلك بالوقوف على الإشكالية، القلق، الميكانيزمات الدفاعية والعلاقة بالموضوع، سنعمد فيما بعد بعرض مختصر لحال، تمّ التخلي عنها من طرف كلا الوالدين مباشرة بعد الولادة.

الإنتاجية

عموما تشير النتائج المتحصل عليها إنطلاقا من إختبار الرورشاخ (أنظر الجدول رقم 2) أنه بالرغم من أن الإنتاجية تبدو متوسطة لدى بعض الأطفال الذين تم التخلي عنهم (أكثر من 15 لدى 3 حالات)، إلا أن معظمهم يتميزون بإنخفاض عدد الأجوبة كدليل عن خلل القدرات الإسقاطية نظرا لهشاشة المراجع الثابتة المرتبطة بديمومة الموضوع. وقد يرتبط ظهور التداعيات لدى بعض هؤلاء الأطفال بوجود بديل والدي آمن مما يجعل لديهم قدرات إسقاطية كافية مثل بالنسبة للحالة 7.

طرق التناول

وتظهر نتائج الأجوبة الشكلية، الشكلية الإيجابية وجود إمكانيات تكيفية لدى هؤلاء الأطفال (7 حالات) والتي ترافقت بظهور الأجوبة المبتذلة خاصة في اللوحة V بالنسبة ل 9 حالات، والتي تمثلت في 'خفاش' أو 'chauve-souris' (لدى 5 حالات) و 'فراشة' (لدى حالتين). ورغم ذلك، فإنخفاض أو حتى غياب الأجوبة الإنسانية (لدى 5 حالات) بالإضافة إلى رفض اللوحات لدى بعض هؤلاء الأطفال (4 حالات) خاصة للوحة الأولى (بالنسبة لحالتين) قد يدّل على الصعوبات أمام الموضوع الذي يحيي قلق الفراغ، والذي ظهر من خلال الصمت التام أو عبارات 'ما عرفتوش' (الحالة 1)،'je sais pas' (الحالة 5).

وبالنسبة لمجموعة البحث، فرغم ظهور إشكالية فقدان الموضوع لدى معظم هؤلاء الأطفال إلا أنها تترافق لدى البعض مع إسقاط لموضوع سيئ مثل بالنسبة للحالة 1 الذي أجاب منذ اللوحة I 'شجرة فيها شيطان'، حيث لاحظنا طيلة البروتوكول التكرار الإعتباطي لهذا المحتوى، نفس الملاحظة بالنسبة للحالة 4 الذي تكرر في بروتوكوله محتوى 'حشرة كبيرة' الذي إرتبط بالتماهي الإسقاطي لموضوع بدائي خطير من خلال اللوحة X مثلا 'شكة طويلة هنا وعندها زوج رتيلات يقرصو فيها'.

وفي هذا الإطار أشارت Veuillet-Combier في مقالتها 'التبني ومسار العاطفة' إلى إختلاف المسار الذي تسلكه العاطفة حسب طبيعتها وشدتها وأيضا حسب طبيعة نقلها، خاصة عندما تكون العاطفة قوية، متناقضة أو ناقصة ومجمّدة وبالتالي عندما ترتبط بموضوع نفسي غير قابل للتحويل، وفي هذه الحالة يمكن أن يستقبله الآخر على شكل إبتلاع حيث تظهر على شكل آثار شفرة أو شبح مثل ما أشار إليه كل منAbraham و Torok، إذ يأخذ النقل النفسي شكل التحول النفسي مثل ما عرّفه Rouchy لينتظم على شكل نموذج التكرار. (Veuillet- Combier. C, 2011)

المحددات

و رغم إمكانية إدراك الشكل المبتذل إلا أن البروتوكولات تميزت بظهور الحركات النكوصية نحو الوضعية الإضطهادية من خلال إسقاط العدوانية البدائية، التي عبّر عنها الحالة 8 منذ المقابلة العيادية و هو يحكي عن أحد أحلامه المزعجة قائلا 'الخلايع، واحد الرّاجل جاني، قالّي أرواح تروح معايا، جيت نهرب ضربني بالموس، لكرشي، للصرّة'، حيث يبدو من خلال هذا الحلم، ظهور لدى الطفل مخاوف إضطهادية مرتبطة بالصورة الأبوية التي تدمّر الصورة الأمومية 'الكرش' و حتى الوظيفة الأمومية البدائية 'الصرّة'، إذ نجد نفس المحتوى 'الكرش' لدى الحالة 2 في اللوحةII'هاذي الكرش' وكذا الحالة 6 في اللوحةVII'طفل صغير و سمين' و أيضا بالنسبة للحالة 7 التي أخبرتنا أمها أنها تقوم بأحلام مزعجة تجعل من نومها مضطربا في الكثير من الأحيان 'تزقي

فاللّيل، تهترف'، و في هذا الإطار أضافت الحالة و هي تحكي عن حلمها 'كنت وحدي و جاتني واحد الغولة'، و الذي يشير إلى إرتباط مشاعر الوحدة و مشاعر الخوف بموضوع أمومي خطير يظهر في اللوحة IX على شكل إسقاط محتوى تحطيمي 'هاذي النار' (بالنسبة للحالة 6 و 7).

كما نجد إسقاط لموضوع خطير بالنسبة للحالتين 6 و9 التي أجابتا ب 'ذئب' منذ اللوحة I، أو أيضا بالنسبة للحالة 4 الذي أجاب في اللوحة VIII'زوج حيوانات كلاو لعظم تع حشرة كبيرة، عندها تشك في الحيوانات في الرجل'، حيث أحيت اللوحة قلق حاد مرتبط بالإضطهاد و الإلتهام أمام صعوبة تمايز الهوية مما أعطى البروتوكول صبغة عدوانية.

حيث ظهرت معظم الأجوبة الحركية الإنسانية مشحونة بمواضيع التدمير والإلتهام مترافقة بالمحتويات المخيفة والبغيضة لدى كل الحالات على صورة 'غول'، 'وحش'.

المحتويات

كما ظهرت صعوبة التعامل مع القلق البدائي لدى البعض الآخر من الأطفال من خلال إسقاط لتصورات مخترقة مثل بالنسبة للحالة 2 التي أجابت 'القلب'، لتواصل المحتويات التشريحية طيلة البروتوكول كدليل على غياب الحاوي النفسي، أو غياب التصورات نظرا لحالة الصدمة التي تسببت فيها اللوحة من خلال رفض اللوحة، مثل بالنسبة للحالة 10 الذي استجاب بالصمت أمام اللوحتين الأولى والثانية.

و في هذا الصدد، تشير Veuillet- Combier أن التبني يقتضي إحياء العلاقة مع الأسلاف كما يحيي السلسلة الجيلية، حيث يتضمن تجربة الإنقطاع من خلال بروز علاقة قرابية دون وجود سند على علاقة دموية فهو يعني توقف للقرابة البيولوجية و يتسبب بذلك في تغيير التصورات .فتجربة الإنقطاع التي تحيي اللاترابط تحدث عنف على مستوى النقل النفسي بإحياء الجروح المتعلقة بالقرابة رجوعا إلى الجانب الغامض من التوارث المرتبط بالحداد غير المكتمل، الصدمات غير المرصنة و الأسرار العائلية، و بذلك يحيي التبني إشكالية النفوذية النفسية، سير المواضيع النفسية من فرد لآخر و من جيل لآخر.

لذلك عندما يتم تسجيل العاطفة خارج السيرورة التاريخية وخارج حركة إعادة الإمتلاك الذاتي فهو يشير إلى وجود معاناة مرتبطة بعمل النقل الشخصي ويعلن بذلك عن تجربة الإنقطاع. أما إذا إستفادت العاطفة من التحويل الذي يعزز عمل التصورات، الترميز ويمكنها أن تصبح قابلة للتفكير، فيمكن لهذه العاطفة أن تظهر على شكل نقل قابل للربط.

وهنا يفضّل René Kaës (2003) التكلم عن النقل بين الجيلي عوضا عن النقل ضمن الجيلي والذي يستند على ما تبقى ويفرض نفسه على شكل صورة سلبية، غير مسمّاة وغير تصورية.

و في إطار الجماعة، العائلة و عبر الأجيال تتواصل الإستمرارية النفسية لما هو مخفي و مستتر إذ يمكن للعاطفة أن تشغل وظيفة شاهد لماضي غاب فيه الفرد لتظهر ميزات ما تسميه Veuillet-

Combier عاطفة بدون ذاكرة(Veuillet- Combier. C, 2011)، حيث تظهر لدى الحالة 1 عندما يجيب في البروتوكول أمام صعوبة الإسقاط 'ما عنديش تصاور، ما عمباليش قاع هاذوما'، ولدى الحالة 2 أمام صعوبة إيجاد الكلمات الموافقة للمحتويات 'ما قالتليش يما واسمهم'، أو بالنسبة للحالة 3 الذي أخبرنا عن إحساسه بعد الإنتهاء من الإختبار 'باش نجيب la mémoire'، إذ نجد الرغبة في إستعادة العلاقة بين الموضوع و المنسي لدى هؤلاء الأطفال، حيث يظهر ذلك لدى الحالة 4 مثلا من خلال هوايته لجمع الحيوانات المنقرضة و تلك التي ترتبط بالعصور القديمة والمنسية.

تذكرنا هذه الحالة بقصة الفيكونت Charles de Spoelberk de Lovenjoul الذي عرف بهواية جمع الكتب الأدبية والتاريخية التي تركها للمعهد الفرنسي، حيث كان له ماضي تعيس تميّز بالإحباط العاطفي. في سنة 1907، توفي الفيكونت في ظروف من الحزن قائلا أن مثل هذه الميولات الهوسية تجعل من الفرد يعيش حياته سعيدا.

يتبيّن من خلال هذا النموذج، أن الإحباط العاطفي المرتبط بنقائص المحيط العائلي والاجتماعي قد تجعل الفرد يطوّر الحماية الذاتية (l'autoprotection)، حيث يتّجه الفرد نحو التعلّق بمواضيع يمكنه الإحتفاظ بها، والتي تسمح له بالتأكّد من إمتلاكها كليا.(Litwinski. L, 1952)

أما فيما يخص التقمصات وتصور الذات، فبالنسبة ل 9 حالات لم يتم إدراك الصورة الإنسانية المبتذلة في اللوحة IIIحيث تواصلت إستحالة إسقاط لموضوع إنساني في تحقيق الحدود (لدى 8 حالات) ليترك مكانه لتصورات عدوانية 'راجل يدّارب' (لدى الحالة 8)، و محتويات مخترقة تشير إلى زوال الحدود الحاوية مثل لدى الحالة 7 'لعظم تع إنسان' أو أيضا الحالة 2 'يشبه لجسم إنسان' و ذلك أمام خطورة المواضيع الداخلية التي تظهر لدى الحالة 3 في تحقيق الحدود للوحة III 'volcanشغل جبل مشقوق محلول م séparé'.

تأتي الهشاشة النرجسية لتشير إلى تصور ذات مضطرب، مثل بالنسبة للحالة 6 التي أجابت في تحقيق الحدود للوحةIII'هذا الراس، هاذو يديه و هذا رجليه، رجل واحدة، رجل واحدة، عايبة لوخرا، لوخرا عايبة'، .و كذا في اللوحةIV'يتشبه كي الغول عامل كي المجراب'.

كما بيّن إختبار إختيار اللوحات هشاشة التصورات الوالدية مثل بالنسبة للحالة 5 التي أجابت في إختيار اللوحة الأمومية'? qui est ma mèreهاذي ولاّ لوخرا ?Je dirais لوخراçal (اللوحةIII) il y a deux femmes comme si je pense que la fille لوخرا، تع هاذيكces deux ،les sœurs، femmes une ma mère، et une celle- la'، كما يظهر لدى الحالات الأخرى من خلال إختيار عدّة لوحات أو صعوبة تحديد اللوحات.

جدول رقم 2:
جدول يوضّح النتائج التي تحصّل عليها الأطفال الذين تمّ التخلي عنهم من طرف أحد أو كلا الوالدين في إختبار الرورشاخ.

Refus	Ban	RC%	F. Compl	T.R.I	H%	A%	F+%	F%	D%	G%	R	المجالة
5	1	14	0 K/0E	0K /0C	14	57	43	100	71	29	7	1
0	0	23	0k/0E	0K /0C	85	0	0	100	46	54	13	2
0	3	43	2k/0E	0K /0C	0	86	92	86	50	50	14	3
0	3	36	4k/0,5E	3K /0,5C	45	64	75	36	36	64	11	4
1	2	22	2k/0E	1K /0,5C	33	67	40	56	22	78	9	5
0	1	60	1k/0E	0K/3,5C	10	60	67	60	55	40	20	6
0	1	45	3k/1E	0K /7,5C	9	41	70	45	77	23	22	7
0	2	31,25	1k/0E	0K /2C	0	18,75	55	68,75	50	50	16	8
2	3	40	1k/0E	0K /0C	0	100	71	90	70	30	10	9
3	4	69	0k/0,5E	1K /0,5C	8	46	62,5	62	86	15	13	10

عرض مختصر لحالة منير:

يتعلق الأمر بالحالة منير يبلغ من العمر 6 سنوات، يعيش مع جدته وعمته وأحيانا أبوه الذي يتعاطى الكحول والمخدرات، مؤخرا دخل السجن، لذلك تصفه أخته بأنه غائب تماما عن المنزل. تبدأ قصة حياة الطفل عندما كان أبوه في إرتباط مع أمه، حيث حملت به بعد علاقة غير شرعية،

ثم أرادت أن تتخلّص منه، غير أن عائلة أبوه قررت الإعتناء به وكإبن شرعي للجد والجدة ليتم بذلك كتمان السر كليا لغية بلوغه 7 سنوات، السّن الذي يوافق الفترة التي كان الطفل يزاول فيها المتابعة النفسية، حيث مثّل الإطار العلاجي سندا سمح للجدة والعمّة بالإفصاح عن قصة حياته.

لقد تمّ النمو النفسي الحركي حسب الجدة بطريقة سليمة، حيث أن الطفل لم يعاني من أي تأخر على مستوى إكتساب المشي، النظافة، غير أنه لم يكتسب اللّغة إلا في سن 5 سنوات مما إستدعى متابعة أرطوفونية.

تميّز منير أثناء المقابلات الأولى بالصمت التّام، التبعية، الإنطواء والخجل الشديد، أما الجدة والعمّة، فلقد تميزتا بالرغبة في إرساء القواعد الصارمة في تربية الطفل وذلك لكي لا يرتكب 'الخطأ' مؤكدتان على ضرورة نجاح الطفل في المدرسة. ورغم ذلك، يبدو أن مواقفهما غير مستقرة، ففي معظم الأحيان، تتمثل طرق تدخلهما في التهديد العاطفي.

ولقد أشارت العمّة (التي ينام الطفل برفقتها) إلى أنه يتميز بالشراهة، حيث يميل إلى الأكل في أوقات فراغه، كما وصفت نومه بأنه مضطرب في بعض الأحيان بسبب الكوابيس.

يبدو من خلال المقابلة أن منير يعاني من عدم النضج العاطفي حيث يظهر ذلك من خلال تأخره في إكتساب اللّغة كطريقة نكوصية للإستبقاء على الوضعية الطفولية، ورغم المتابعة الأرطوفونية، إلا أن التعبير اللفظي غير المتطور والذي يأخذ في معظم الأحيان طابع ساذج بالإضافة إلى فقر الإكتسابات اللغوية جعل من مضمون الحوار سطحي وتكراري.

كما تظهر من خلال معطيات المقابلة حاجة الطفل إلى الأمن نظرا لغياب موضوع مستدخل وآمن بقدر الكفاية، حيث يحيي الفراغ الداخلي (النفسي) لدى منير قلق حاد مرتبط بعدم القدرة على البقاء في وحدة (وينيكوت).

يبيّن إختبار الرورشاخ القبلي غياب تام للتعامل مع المدركات، حيث يؤدي القلق البدائي إلى خلق حالة من الفراغ النفسي مما يعطي البروتوكول طابع نكوصي كبحث عن الحماية.

كما يظهر غياب كلّي للتصورات ماعدا في اللوحة VIIIحيث قدّم الطفل من خلال التعبير البدائي 'مينوشة'، إجابة مبتذلة لا تشير إلى أي نشاط نفسي.

يظهر البروتوكول جد بدائي، حيث يدل على محدودية القدرات الإسقاطية والتي تتماشى مع معاش الإنفصال المبكّر عن موضوع-الأم.

أما بروتوكول الرورشاخ البعدي، فلقد تمّ الحصول عليه بعد أن أخبرت الجدة والعمة الطفل عن روابطه وعلاقاته القرابية بصورة صريحة، حيث أخبرنا منير بأنه قد تعرّف على الحقيقة وأنه قد أحسّ طيلة طفولته بثقل الصمت وغرابة المواقف في العائلة، ورغم حيرته الشديدة وغرابة مشاعره، فلقد أشار منير إلى أنه أصبح يشعر بالخفة.

لقد تميّز البروتوكول البعدي خلافا عن البروتوكول القبلي بالطابع الإسقاطي المكثّف، حيث تضمن ذلك التفريغ الذي حدث على مستوى جهاز التصورات من خلال تحريرها.

ولقد بينت الإنتاجية التخريب الذي يتعرض إليه التناول الشامل، حيث تنطلق الإجابة من تصور تكيفي ذو غلاف شكلي إيجابي، ولكن سرعان ما يتدهور الإدراك على شكل تداخل العالم الحيواني، النباتي والإنساني، ليشير إلى قوة الوضعيات البدائية قبل التناسلية أين تحمل النزوات العدوانية أثر تدميري للحدود مما يؤدّي إلى صعوبة الحفاظ على الوحدة الجسدية.

تترافق هذه النزوات مع إسقاط لموضوع أمومي جدّ خطير وغير متمايز عن الموضوع الأبوي، حيث يتميّز القطب الأمومي بكلية القدرة على تحطيم الأغلفة النفسية.

يبدو إذن أن التكيّف مع العالم الخارجي مهدّد بصورة تكرارية من طرف المواضيع الداخلية الخطيرة، حيث لا يتمكّن من الدفاع منها إلا بإضعاف النضج المعرفي والعاطفي.

بروتوكول الرورشاخ القبلي:

اللوحة I.

زعما عرف واش هذا، آه، ما نعرفوش هذا، ما عرفش هذا، ما عمباليش، كيما كحلوش هذا، هذا كحلوش، هذايا كحلوش. Refus

اللوحة II

ما عمباليش قاع، هاذي ما عمباليش أنا، هاذي ما عمباليش، تشبّه للكحلوش. Refus

اللوحة III

هذا تبش، هذا، هذا 1. تبش هذا، هاوليك، شوفي رجلو[D5]، كحلوش بزّاف. DF-A

اللوحة IV

هذا كحلوش هذا، هذا تحلوش، هذا تحلوش، ما عمباليش. Refus

اللوحة V

هذا، هذا تيما تبش هذا، عندنا 2. الكباش تحتا في حومتنا حنا، عندنا بزّاف التباش شراو [G]. GF-A

اللوحة VI

هاذي تيما بابيو هذا، هذا3. papillon [G]. GF+A

اللوحة VII

هذا 4. راجل، هذا راجل[D1]، راني نشوف في، راني نشوف في البرّا راجل، DF+H
رجلين، وهاذي 5. العظمة تاعو [D3]، و هذا 6. القلب تاعو[D3] وهذا DF-Anat
الراس تاعو[D1]. DF-Anat

اللوحة VIII

هاذوما 7. مينوشة هاذو، هاذي مينوشة و هاذي مينوشة [D1]. DF+ABan

اللوحة IX

هاذي ما عمباليش. Refus

اللوحة X

هاذي ما عمباليش. Refus

تبش: كبش، حيث يعوّض منير الذي يعاني من إضطراب في النطق حرف 'الكاف' بحرف 'التاء'.
التحقيق في الحدود :(صمت).

إختبار الإختيار:

اللوحتين الإيجابيتين: (يشير إلى اللوحات VIII، IX، X) هذاIII و هذا IV (ثم يضيف) X، IX، نحب هذاIV و هذاIII، نحب هذا V.

اللوحتين السلبيتين: هذا V و هذا III ، هاذوما التباش و هذاIII تبش بي زوج كباش، عجبوني.

اللوحة الأمومية V :وهذا III، لالا نحب هذا V.

اللوحة الأبويةX : هكا نحب هاذيا.

اللوحة الذاتية: هذاX، واشنو تفكّر روحي؟ هاذي IX هاكًا.

اللوحة المخيفة: خوفتنيVIII، هاكذا.

المخطط النفسي:

R=7	G%=29%	F=7	A=4	F%=100%
T.R.I=0K /0C	D%=71%	K=0	H=1	F+%=43%
F.Compl=0k/0E		kan=0		A%=57%
RC%=14%		C=0		H%=14%
				Ban=1

بروتوكول الرورشاخ البعدي:

اللوحة I

2" شـجرة، 2"1. شـجرة فيهـا شـيطان هـو راو قاعـد فيهـا و عنـدو نيـف، و يـدين و عنـدو رجلـين، و عنـدو الكـرش تـاعو و الجسـم تـاعو و يـدين تـاعو و راس تـاعو و شـعرو و نيفـو، هـاهي[D2]، هاذيـا شريـر[D4]، هامليـك رجليـه، اليـدين تـاعو هامليـك هـاهو الجسـم تـاعو، الشـعر تـاعو و الـودنين تاعو. GK(H)/Bot

اللوحة II

هـذا مـا نعرفـوش، 2. شريـر طـاح فالنـار أومبعـد، عنـدو ال ال، عنـدو يديـه حمـورة، يديـه حمـورة و رجليـه و رجليـه، رجليـه حمـورة [D2]هامليـك يديـه و هامليـك رجليـه[D3]، الدّاخل، داخل الشجرة، هايليك [D6]، ولاّت حمرة. G/DKC(H)/ Elèm/Bot

اللوحة III

هاذوما 3. نواظر حمورة[D3]، وهاذو حمورة و الشجرة[D1]، داخل الشجرة، و رجليه، هايليك هي كحلة، رجليها، هذا شرير لابس نواظر حمورة دخل الشجرة، داخل الشجرة. G/DFCObj/ Bot/(H)

اللوحة IV

شريـر، 4. شريـر هـاو كحـل عنـدو رجليـه بيوضـة يديـه بيوضـة وشـعرو كحـل، ونيفـو بـيض بالكحـل ويديـه كحـل ورجليـه كحـل بـالبيض والنيـف تـاعو، هاوليـك، نشوف هكا في الميكيات. GFClob(H)

اللوحة V

فراشة 5. راي تطير هي شريرة، وعندها يديها و ... والودنين تعهـا ورجلين كحل. GkanABan

اللوحة VI

هاذي 6. فراشة هي كحلة هـي شريـرة، عنـدها رجلـين وعنـدها الشعر، وعندها عندها الشعر في نيفها[D6]، هاوليك، هي اللونها هكا كحل. GFC'A

اللوحة VII

GFClob(H)

هذا 7. شرير، عندو يد، عندو نيف، عندو رجلين، عندو شعر، عندو نيف تاعو، الشعر هو بالكحل ويديه، هاهوليك[G]، رجليه هاملين، يديه هامليك ونيفو هاوليك.

اللوحة VIII

CnDF+ABan DFClob(H)

حمر، هذا حمر، خضر، خضر حمر، صفر، حمر وهذا أزرق وأزرق وعندو نيف وهذا 8. كلب حمر[D1]، عندو رجلين وعينين تاوعو حمورة، وهذا كلب، حمورة، حمورة، 9. شرير واقيل، عندو نيف، شعر[D central] .

اللوحة IX

CnDCElèm GK(H)

هاذوما شرير، هذا صفر، هذا 10. النار، هاذواالخضورة، هو شرير، 11. راو يطير عندو الجسم تاعو حمورة، هاوليك[G].

اللوحة X

CnGK(H)/Vêt

هذا زرق، صفر، بني، هذا 12. شرير، راو يطير، عندو زرق، صفر، بني، هو شرير و عندو الشعر تاعو[D8]، و عندو صفر، زرق، حمر، حمر، أصفر، بني، هذا vista تاعو حمرة و حمرة، عندو[D13]bonnet قفلة تاعو، بني، أصفر و أبيض.

التحقيق في الحدود:

شرير، هو لابس قندورة كحلة وعينيه تاعو خضورة (راك تشوف عينين خضورة؟) ... (يشير نفيا بالرأس).

إختبارالإختيار:

اللوحتين الإيجابيتين X ؛ IX، هكّا، هذا أصفر و أصفر و أخضر و أخضر و أحمر و أحمر، و هنايا X أصفر، أزرق و أخضر و أكحل و أزرق و البني.

اللوحتين السلبيتين: هذا III، هاذوما IV، V هكّا هوما كحل و كحل هنايا كحلV و كحل.

اللوحة الأمومية X : هاذي تفكرني، هكّا.

اللوحة الأبوية :هاذيا IX، هكّا.

اللوحة الذاتية: هاذيVIII، هكّا، هذا أحمر، أحمر، أبيض وأبيض ...

اللوحة المخيفة VI, I, VII: هاذوما بين زوج IV, V، هاذايا V هي فراشة هي ب كحل و عندها رجليها كحل و ... و ودنين تعها كحل و راس تعها كحل و بيض.

المخطط النفسي:

R=12	G%=75%	F=1	A=3	F%=8%
T.R.I=4K /3C	D%=25%	K=3	H=0	F+%=100%
F.Compl=1k/0E		kan=1	(H)=4	A%=25%
RC%=42%		C=1	(H)/Bot=1	H%=67%
		FC=2	(H)/Elèm/Bot=1	Ban=2
		FClob=3	Obj/Bot/(H)=1	
		KC=1	(H)/Vêt=1	
			Elèm=1	

خاتمة

يبدو مما سبق أنه رغم وجود تشابهات عامة داخل مجموعة البحث فهناك إختلافات ضمنية، حيث أن الطفل يمّر بمرحلة تطورية وإنتقالية تتميز بالصراعات المختلفة التي ما يزال يحاول تجاوزها وحلها، لذلك فمن الإعتباطي مقارنة الواقع النفسي أو الصراع النفسي لطفل ما مع طفل آخر.

أما الفروقات التي تظهر لدى الأطفال الذين تمّ التخلي عنهم مبكرا من طرف أحد أو كلا الوالدين فهي ترتبط بوجود موضوع بديل قادر على بناء علاقة ثقة مع الطفل المتبني وذلك من خلال تعريفه بقصة حياته رغم أن هذه الأخيرة تبقى متميزة بالفراغ الموضوعي، وهذا ما يعرّض الطفل لإشكالية فقدان الموضوع نظرا لأن غياب الموضوع يكون أكثر بدائية من الموضوع الغائب، كما أن الوالد المتبني هو نفسه يعيش إشكالية مرتبطة بفقدان القدرة على الإنجاب.

المراجع

BAUMANN. N, QUARTIER. V, ANTIONIETTI. J- PH : « Contribution à une étude normative de l'épreuve de Rorschach auprès d'un groupe d'enfants de 8 à 14 ans non consultants », in *Psychologie Clinique et Projective*, volume 18, 2012, pp. 235- 260.

BOEKHOLT. M : « en guise d'écho : de l'affect à la pensée à travers le Rorschach des jeunes enfants », in *psychologie clinique et projective*, Volume 6- 2000, pp. 255- 264.

BLOMART. J. (1998), *Le Rorschach chez l'enfant et l'adolescent. Etude génétique et liste de cotation des formes*, Paris, Editions et Applications Psychologiques.

CYRULNIC. B, DUVAL. Ph. (2006), *Psychanalyse et résilience*, Paris, Odile Jacob.

DANION- GRILLIAT. A, BURSZTEJN. C. (2011), *Psychiatrie de l'enfant*, Paris, Lavoisier.

VANDER BORGHT. M, de NEUTER. P : « L'abandon à la naissance : entre désir et non désir d'enfant », in *Cahiers de Psychologie Clinique*, n° 24, 2005, pp. 149- 165.
RAUSCH de TRAUBENBERG. N, BOIZOU. M- F. (1996), *Le Rorschach en clinique infantile. L'imaginaire et le réel chez l'enfant*, Paris, Dunod.
SONMEZ. B. A : « Dépression chez l'enfant et élaboration de la perte : test/ retest après une psychothérapie », in *Psychologie Clinique et Projective*, volume 18, 2012, pp. 43- 53.

Résumé :

Nous proposons à travers cette contribution l'étude de la problématique de la perte chez l'enfant adoptif.
L'étude a porté sur un groupe constitué de 10 enfants adoptifs, auxquels nous avons passé le test de Rorschach dans le but de cerner les caractéristiques de leur fonctionnement psychique.
En effet, confrontés à une séparation précoce avec l'objet d'amour, les enfants adoptifs semblent présenter une prédisposition à la fragilité des représentations et donc à la déficience des ressources narcissiques.
L'analyse détaillée de deux cas servira d'illustration afin de démontrer qu'un substitut maternel suffisamment confiant peut aider l'enfant à construire son identité malgré l'existence d'une problématique de perte.

Mots-clés :
enfant adoptif, problématique de perte, test de Rorschach.